المصـــــدر : المجلة
التـــاريخ : 18-11-2007 العـــدد : 1449
الصفحـات : 38 المسلسل : 22

ملف صحفي

لقاء الفاتيكان التاريخي.. مشروع أخلاقي لبناء السلام العالمي

■ السعودية لا تربطها بالفاتيكان أي علاقة دبلوماسية، لكن الناظر والمنظور في خطاب الزيارة، يقرأ فيها الكثير من الاجابات حول مرحلة جديدة من مراحل الخطاب السعودي الجديد في مسيرة حوار الأديان أو حوار العرب والغرب أو الاسلام والمسيحية، بحيث لم يعد ممكنا اليوم الحديث عن تاريخ صراعي، مستمر بقدر ما نحن بحاجة مبدئيا إلى تحقيق الاعتراف بالآخر، ومن هنا تأتي الزيارة لتعلن ان المملكة العربية السعودية ليست منعزلة عن العالم في مسألة الحوار، وأنها يمكن ان تسهم جيدا في توجيه الحوار نحو مسارات فاعلة بعيدة عن الانشاء المتكرر والاستدعاء التاريخي الرابط بين الشرق والغرب.

تقود الزيارة إلى ضرورة الدفع بمشروع أخلاقي عالمي تطمح المملكة العربية السعودية إلى إنجازه، بحيث تأخذ الديانات دورها المتبقي في قيادة السلام العالمي ■

المصـــــدر : المجلة
التـــاريخ : 18-11-2007 العـــدد : 1449
الصفحـات : 38 المسلسل : 22

المسؤولية التاريخية وعبء الوعي

المجلة: د. مهند مبيضين

■ الحاضر يطوي التاريخ، بهذا الوصف يمكن تلخيص الأثر الذي أحدثته زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى الفاتيكان والالتقاء برمز الكنيسة الغربية البابا بندكت السادس عشر. زيارة اختصرت الكثير من الجدل حول الدور الذي يمكن ان تلعبه السعودية في تبديد الصورة السلبية عن العرب في الغرب وفي ظل تصاعد التوتر المباشر وغير المباشر جراء سياسات وآراء حمل المسلمون وزرها جميعا من قبل الغرب.

جاءت الزيارة في ظلال الذكرى السادسة لأحداث 11 سبتمبر، وهي بهذا استطاعت ان تصل إلى عقر دار المسيحية الغربية، بالكلمة والحوار المتبادل المبني على أساس الاعتراف بالآخر كوسيلة الاهتمام.

يوم تاريخي بلا شك ذاك الذي جمع خادم الحرمين الشريفين مع بابا الفاتيكان على مائدة واحدة، والموضوع هو الحوار والتفاهم، نقيضا للكراهية، لقاء تقدم به خادم الحرمين الشريفين نيابة عن المسلمين داعيا للحوار الحقيقي البعيد عن البغض تطبيقا لقوله تعالى:"ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن .."(العنكبوت 29: 46).

حاضر اللقاء فارق بدرجة كبيرة، فالبابا بندكت كان عرضة للنقد والاحتجاج في المشرق العربي والاسلامي قبل عام بسبب محاضرته التي ألقاها في جامعة رجنسبورغ في ألمانيا بتاريخ 12 أيلول/سبتمبر 2006 حين استخدم في محاضرته نصا لمناظرة جرت بين الامبراطور مانويل الثاني باليولوجوس ورجل 'فارسي مثقف' كنقطة بداية لحديثه حول العلاقة بين العقل والإيمان، ومن ثم ربط بشكل مباشر بين الإسلام والعنف. وفي المقابل يعود خادم الحرمين للفاتيكان بعد أن كان زارها يوم كان وليا للعهد بتاريخ 25 مايو (ايار) 1999 في عهد البابا يوحنا بولس الثاني، حاملا معه مشعل الكلمة الحسنة كوسيلة وحيدة للتفاهم.

صحيح أن السعودية لا تربطها بالفاتيكان اي علاقة دبلوماسية، لكن الناظر والمنظور في خطاب الزيارة، يقرأ فيها الكثير من الاجابات حول مرحلة جديدة من مراحل الخطاب السعودي الجديد في مسيرة حوار الأديان او حوار العرب والغرب أو الاسلام والشرق. بحيث لم يعد ممكنا اليوم الحديث عن تاريخ صراعي، مستمر بقدر ما نحن بحاجة مبدئيا إلى تحقيق الاعتراف بالآخر، ومن هنا تأتي الزيارة لتعلن ان المملكة العربية السعودية ليست منعزلة عن العالم في مسألة الحوار، وأنها يمكن ان تسهم جيدا في توجيه الحوار نحو مسارات فاعلة بعيدة عن الانشاء المتكرر والاستدعاء التاريخي الرابط بين الشرق والغرب.

تقود الزيارة إلى ضرورة الدفع بمشروع أخلاقي عالمي تطمح المملكة العربية السعودية إلى إنجازه، بحيث تأخذ الديانات دورها في السلام العالمي. فبحسب بيان للفاتيكان فان المباحثات تمحورت حول "الدفاع عن القيم الدينية والأخلاقية والنزاع في الشرق الأوسط والوضع السياسي والديني في المنطقة وأهمية الحوار بين الثقافات والأديان ومساهمة أتباع مختلف الديانات في النهوض بالتفاهم بين البشر والشعوب".

في المقابل ارتسم في السعودية طريق معبد للتأسيس لثقافة الحوار قبل هذه الزيارة، وهنا يشار إلى زيارات سابقة قام بها سياسيون سعوديون للفاتيكان ومنها زيارة وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل وولي العهد الامير سلطان بن عبدالعزيز، وهي زيارات ليست منفصلة عن دعوة أطلقها العديد من كبار فقهاء الدين السعوديين ممن كانوا من بين الموقعين على رسالة وجهها 138 مثقفا او مسؤولا دينيا مسلما الى مسؤولين مسيحيين للمطالبة بالحوار.

أوجد سجال العلاقة بين الشرق والغرب

المصـــــدر : المجلة
التـــاريخ : 18-11-2007 العـــدد : 1449
الصفحـات : 39 المسلسل : 22

العديد من العبارات التي أطلقت عندنا، وهي عبارات مرتبطة بالحوار شرطا ومفهوما ونتيجة، وهنا قال البعض إن المسلمين والمسيحيين يؤلفون متحدا واحدا قائما، أوهو في طريق القيام، فمن قائل بالعيش المشترك نتيجة لتراث متقارب من الانثروبولوجيا، أو نتيجة لما يدور من تصور في العقلين المسلم والمسيحي نحو حدوث العالم، إلى قائل بالتصور المشترك وصولا وثمة من لا يقبل بشيء من هذا.

وهنا فإن ما يميز الجهد السعودي في مسألة الحوار الإسلامي المسيحي يكمن في أنه جهد لا يسعى إلى لقاء الإسلام والمسيحية من جديد، بل يحاول أن يعمق المعرفة بين الأخرين، لقاء يبين أن الفرق ليس بكبير حينما تقول المسيحية بالمحبة كأساس للتعارف والتواد، وبين قول الإسلام بالعدالة وحرمة النفس كوسيلة للعيش الأمن.

ليس بوسع زيارة واحدة لخادم الحرمين أن تختزل تاريخ الصراع والصورة المشوهة بين الغرب والشرق، ولكن بقدر ما كانت زيارته تعبيرا عن ادراك لتجاوز سجال حوار الأديان المسبوق بحكم مسبق، أوتخطيا لثنائية متشددة هي فسطاط الكفر وفسطاط الإيمان، إلا أنها تواجه أيضا تحديا صنعه الغرب وليس نحن العرب، وهذا التحدي لا يمكن دحضه أو نفيه فهو تاريخ ثقيل الوطأة يتجاوز عقده السادس منذ عام النكبة 1948 وحتى اليوم. هو تاريخ سيظل قابلاً للاستثارة لأن مادته الغضب والظلم الذي صنعه الغرب جراء تمكين اسرائيل في المنطقة.

فليس هناك عوامل صراع أكبر من قوة حضور الاحتلال في تغذية الكراهية، أو من خلال مركبات الوعي التي خلفتها عصور الاستعمار والهيمنة الغربية على منطقتنا، إذ كان التاريخ السياسي للقرن العشرين حاسماً في تشكيل صورة العرب في الغرب، فعلى سبيل المثال، كسبت بريطانيا من تاريخها الامبراطوري منظورا خاصا لدول الخليج، وكذلك لفلسطين والأردن والعراق ومصر.

أي أن تاريخ بريطانيا الامبراطوري منحها علاقة مختلفة مع العالم العربي، ولقد كانت الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ذات أهمية فائقة في تشكل صورة العرب في المكون الثقافي الغربي، وبنفس الدرجة بالنسبة لايطاليا وفرنسا.

وهنا يرى بعض المؤرخين أن فترة العقدين الرابع والخامس من هذا القرن المنصرم كانت الأساس في تشكيل الانطباعات الغربية عن العرب. ففي تلك الفترة كان البريطانيون ذوي نفوذ أقوى مقارنة بالأميركيين، وذلك بسبب هيمنتهم السياسية والاقتصادية على الشرق الأوسط، ولأنهم ساندوا الجهود التي بُذلت في سبيل الوحدة العربية في نهاية الحرب العالمية الثانية، اذ أقر وزير الخارجية، آنذاك، السير أنطوني إيدن (Sir Anthony Eden)، بأن بريطانيا ستدعم جهود الجامعة العربية، علما ان الهدف الرئيس من الدعم كان توظيف الجامعة العربية لخدمة أهداف بريطانية.

وثمة رأي آخر في الفكر الغربي كان يُصر على معاملة العرب، لا على أساس إمكانية تحملهم فقط، بل بوصفهم بشراً متساوين مع غيرهم، وكان هذا الرأي يشكل عقيدة أساسية لدى حكومة العمال البريطانية ما بين عامي 1945-1951 وبخاصة ارنست بيفن (Ernest Bevin) إلا أنه فشل في إحداث هذه الثورة في الموقف البريطاني، فواقع الأمر، كما حصل عام 1956 في أثناء أزمة السويس، أن بريطانيا حشدت قواها مع فرنسا وإسرائيل لإعادة الهيمنة البريطانية على منطقة الشرق الأوسط. وكانت أزمة السويس نقطة انعطاف مهمة في تطور الانطباعات المتبادلة، في حين ظهر عبدالناصر بطلاً للقومية العربية. أما بالنسبة للبريطانيين فقد عكست الأزمة فقدان الثقة في التعامل مع الشرق الأوسط وبخاصة مع العرب.

وعلى حد قول السير تشارلز جونستون (Sir Charles Johnston) حاكم عدن البريطاني آنذاك، "فإن هزيمة بريطانيا في السويس بدت أنها تركت أثراً بليغاً في أنفسنا أكثر مما تركته على العرب". ومن أسوأ ما حصل للبريطانيين بعد السويس هو فقدان الثقة في قدرتهم على التعامل مع الظروف العصيبة، وكذلك مع العرب.

منذ عام 1956 فصاعداً أصبحت مسألة صورة العرب مسألة ذات اهتمام اميركي نظراً لفقدان بريطانيا هيمنتها على المنطقة. وهنا يصف بعض المعلقين الألمان تجربة ألمانيا مع العرب، في هذا القرن، بأنها مختلفة عن التجربة البريطانية والأميركية. ويشير إلى أن ألمانيا تمتعت بصلات تاريخية بناءة مع الشرق الأوسط، ولها انطباعات إيجابية عن الأتراك والعرب.

بعد فشل المشروع الأميركي في تغيير المنطقة، وتراجع الحماس نحو الاصلاح يعود الزمن الامبراطوري البريطاني هذه المرة بنسخته الأميركية، ومن هنا يمكننا فهم الزيارة التي قام بها خادم الحرمين الشريفين، إلى دول اوروبية وعلى رأسها الفاتيكان ثم تركيا.

أما النتيجة فهي بالادراك العميق بأن محو الصورة السلبية عن العرب يجب طمسها في معقلها الأول، أوروبا وليس أميركا. أوروبا بكل ما تجسده من خبرة استعمارية، والفاتيكان الذي منح صكوك البراءة للغزاة، وبهذا يكون الرد على الصورة السلبية عن العرب في الغرب قد بدأ بنسخة جديدة أسست لها المملكة العربية السعودية، التي ظلت توصف في أدبيات الغرب بأنها معقل التشدد، رد يستهدف الوعي في التاريخ لا التاريخ، ويستهدف بناء التصور وليس الصورة ذاتها ■